

نقدياً بالماضي — بماضي في الأدب الانكليزي — من أسلافه العظماء . فقراءة ملتون تعني التأكد فيما يتصل بعبقريّة سبنسر ، والشعور بالعرفان لسبنسر لإسهامه في جعل شعر ملتون ممكناً . ومع ذلك فأسلوب ملتون ليس بالأسلوب الكلاسيكي . إنه أسلوب لغة ما زالت في طور التشكّل ، أسلوب كاتب لم يكن أساتذته من الانكليز ، بل كانوا من اللاتين ، وبدرجة أقل ، من الإغريق . وأعتقد أن هذا قول لا يزيد عمّا قاله ( جونسون ) ، ثم ( لاندور ) بدوّه ، عندما شكّوا من أسلوب ملتون قائلين إنه ليس انكليزيا تماماً . فلنعدّل هذا الحكم بأن نقول مباشرة إن ملتون عمل كثيراً من أجل تطوير اللغة . ومن العلامات الدالة على اقترابه من أسلوب كلاسيكيّ تطوّر نحو تعقيد أشدّ في الجملة والبنية الزمانية . ومثل هذا التطور ظاهر في عمل شكسبير بمفرده ، عندما تنتج أسلوبه من المسرحيات الأولى إلى المسرحيات الأخيرة : بل نستطيع أن نقول إنه يذهب في مسرحياته الأخيرة باتجاه التعقيد إلى أبعد مدى ممكن ضمن حدود الشعر المسرحي التي تعدّ أضيق من حدود الأنواع الأخرى . على أن التعقيد من أجل ذاته ليس هدفاً صحيحاً ، إذ يجب أن يكون الغرض من ورائه ، أولاً ، التعبير الدقيق عن اللّوئيات<sup>(١)</sup> الأكثر إرهافاً في الشعور والفكر ، ومن الناحية الثانية ، تحقيق صقل أعظم ، وتنوع أكبر في الموسيقى . وعندما يبدو الكاتب ، في غمرة حبه للتركيب المتقن السبك ، مفتقراً إلى القدرة على أن يقول أي شيء ببساطة ، وعندما يبلغ به الإدمان على النمط أن يقول بالأسلوب المتقن ما يحسّن أن يقال ببساطة ، ويحدّ بذلك من مدى تعبيره ، عند ذلك تتوقف عملية التعقيد عن أن تكون صحيحة تماماً ، ويفقد الكاتب صلته باللغة المحكيّة . ومع ذلك ، فعندما يتطوّر الشعر ، على أيدي شاعر بعد آخر ، ينتقل من الرتابة إلى التنوع ، ومن البساطة إلى التعقيد ، وعندما ينحط ، يتجه نحو الرتابة مرة أخرى ، على

---

(١) nuances